سلسلة المقالات
الفقهية الأصولية
(٦٩)

حديث
«إنَّ الإبل خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطين»،
وبيانُ المراد منه

وَقَّعَه

الدكتور عيد أبو السعود الكيال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيّ بعده ﷺ، **أمَّا بعد:**

فقد روىٰ أبو داود في «سننه» (١٨٣، ٤٨٩) وابن ماجه (٧٦٨) وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (١٩٤٨)، وقال البوصيري في: «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٢٤): «إسناده صحيح» من حديث البراء بن عازب عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تصلوا في مرابض الإبل فإنّها من الشياطين**»، وصحح الشوكاني رواية ابن ماجه وقال: «بإسناد صحيح» كما سيأتي، وفي رواية لأحمد **(٢٠٣٥)** بإسناد صحيح كما قال الشوكاني في «نيل الأوطار» **(٣/ ٥١٥)** عند حديث (٦١٦): «**لا تصلّوا في أعطان الإبل؛ فإنَّها خُلقت من الجنّ، ألا ترون إلىٰ عيونها وهيئتها إذا نفرت؟**»، وهو عند البيهقي في «السنن الكبرىٰ» **(٢/ ٤٤٨)**، وفي رواية «**إنَّ الإبل خلقت من الشياطين، وإنَّ وراء كلّ بعير شيطانًا**» هذا الحديث يحتاج إلىٰ بيان ومعرفة معناه والمراد منه؛ لأنَّ ظاهره خلق الإبل من الشياطين، وهو ليس علىٰ ظاهره، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥].

قال القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٢٢٤):

«والدَّابة: كلّ ما يَدُبّ علىٰ وجه الأرض من الحيوان، يُقال: دبّ يَدِبّ فهو دابّ، والهاء للمبالغة، قوله: ﴿مِن مَّآءٍ﴾ لم يدخل في هذا الجن والملائكة؛ لأنَّا لم نشاهدهم، ولم يثبت أنَّهم خلقوا من ماء، بل الصحيح قوله ﷺ: «**أنَّ الملائكة خُلقوا من نور، والجنّ من نار**» [رواه مسلم في «صحيحه» **(٢٩٩٦)**].

وقال المفسّرون: ﴿مِن مَّآءٍ﴾: من نطفة، قال النقاش: أراد أَمْنِيَةَ الذكور،

وقيل: أنَّ خلْقة كل حيوان فيها ماء، كما خُلق آدم من الماء والطين، وعلىٰ هذا يتخرَّج قول النَّبِيّ ﷺ للشيخ الذي سأله في غزاة بدر: مِمَّن أنتما. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن من ماء**» الحديث [رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٧)، وابن كثير في: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٤) ورواه بسنده محمد بن إسحاق كما في: «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٢٢٠- ٢٢١)]، وقال قوم: لا يُستثنىٰ الجنّ والملائكة، بل كلّ حيوان خُلق من الماء، وخلق النَّار من الماء، وخلق الرّيح من الماء؛ إذ أوَّل ما خلق اللَّهُ تعالىٰ من العالم الماء، ثُمَّ خلق كل شيْء.

[قال القرطبيّ]: قلت: ويدلُّ علىٰ صحة هذا قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]، والمشي علىٰ البطن للحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره، وعلىٰ الرجلين للإنسان والطير إذا مشىٰ، والأربع لسائر الحيوان، ومنهم من يمشي علىٰ أكثر من أربع، كما وقع في مصحف أُبَيّ». اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

قال القرطبيّ في «جامعه» (١١/ ١٧٣):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أخبر تعالىٰ عن الأزواج بالنزول؛ لأنها تكوّنَت بالنبات، والنبات من الماء، وهذا يسمّىٰ بالتدريج.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقيل: إنَّ اللَّه خلق هذه الأنعام في الجنَّة ثُمَّ أنزلها إلىٰ الأرض، كما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فإنَّ آدم لما هبط إلىٰ الأرض أنزل معه الحديد». اهـ.

قلت: وعليه فالإبل خُلِقت من ماء، أو أنزلها اللَّه بعد ما خلقها، فما بال الحديث؟

قال السِّندي في: «شرح سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٤):

«قوله ﷺ: «**فإنّها خُلقت من الشياطين**»؛ أي: أنَّها لما فيها من النفار والشرور، وبما أفسدت عل المصلي صلاته، فصار كأنَّها في حق المصلّىٰ من جنس الشياطين؛ لأنَّ الحديث: «**صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلّوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من الشياطين**». ». اهـ.

وقال المناويّ في: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٤١٤):

«قال ابن جرير: معناه أنَّها خلقت مِنْ طباع الشياطين، وأنَّ البعير إذا نفر كان نفاره من شيطان يعدو فينفّره؛ ألا ترىٰ هيْئتها وعيونها إذا نفرت؟». اهـ.

وقال أبو الطيّب في: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١/ ٢١١):

«أي: الإبل تعمل عمل الشياطين والأجنَّة؛ لأنَّ الإبل كثيرة الشرّ فتشوِّش قلب المُصلّي، وربَّما نفرت وهو في الصلاة فتؤدِّي إلىٰ قطعها، أو أذىٰ يحصل له منها، فبهذه الوجوه وُصِفَتْ بأعمال الشياطين والجنّ.

قال ولي الدين العراقي: يُحتمل أن يكون قوله ﷺ: «**فإنها من الشياطين**» علىٰ حقيقته، وأنَّها أنفسها شياطين، وقد قال أهل الكوفة: إنَّ الشيطان كلَّ عَاتٍ متمرّدٍ من الإنس والجنّ والدَّواب. انتهىٰ، واللَّه أعلم بمراد اللَّه ورسوله ﷺ». اهـ.

وقال الخطَّابي في: «معالم السنن شرح سنن أبي داود» (١/ ١٢٨):

«قوله: «**فإنِّها من الشياطين**» يريد أنّها لما فيها من النّفور والشرور ربّما أفسدت علىٰ المصلّي صلاته، والعرب تسمّي كل شيطان ماردًا، كأنّه يقول: إنَّ المُصلّي إذا صلىٰ بحضرتها، كان مغررًا بصلاته، لما لا يؤمن من نفارها وخبطها المصلّي، وهذا المعنَىٰ مأمون في الغنم لسكونها وضعف الحركة إذا هُيّجت، للحديث: «**صلوا في مرابض الغنم**». ». اهـ.

قلت: وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك: ما رواه أبو حبان في «صحيحه» (٢٣٦٧-

٢٣٧٠) أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمرّ بين يديه وليدْرأه ما استطاع؛ فإنْ أبَىٰ فليقاتله فإنه شيطان**».

بوَّب ابن حبان عند هذا الحديث بابًا سمَّاه: «**(١١٦)** ذكر البيان بأنَّ قوله ﷺ «**فإنّما هو شيطان**» أراد به: أنَّ معه شيطانًا يدلّه علىٰ ذلك لا أنَّ المرء المسلم يكون شيطانًا».

قلت: وهذا الحديث وكلام ابن حبَّان يظهر الحديث المراد من المقالة ومعناه.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

روىٰ أحمد في مسنده (٢١٤٣٨، ٢١٤٤٤، ٢٢١٨٩)، والنسائي في «الصغرىٰ» (٥٥٢٢)، باب الاستعاذة من شرّ شياطين الإنس عند حديث أبي ذر قال له رسول اللَّه ﷺ: «**يا أبا ذر تعوّذ باللَّه من شرّ شياطين الجنّ والإنس**» قلت: يا نبيّ اللَّه وهل للإنس شياطين؟! قال: «**نعم شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا**».

وذكر ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية روايات الحديث وفي رواية: «**نعم، هم شرّ من شياطين الجنّ**» ثُمَّ قال ابن كثير: «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحّته، وقال: «قوله: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾؛ أي: أن لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ومن هؤلاء وهؤلاء قبحهم اللَّه ولعنهم.

قال ابن كثير: وقد روىٰ ابن جرير [في تفسيره] حدثنا .... عن عكرمة ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال: ليس من الإنس شياطين، ولكن شياطين الجنّ يوحون إلىٰ شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلىٰ شياطين الجن.

وروىٰ ابن جرير ..... عن عكرمة في قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ

ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ قال: للإنس شياطين، وللجنّي شيطان، فَيَلْقَىٰ شيطان الإنس شيطان الجن فيوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، قال ابن كثير: والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشّر، ولا يعادي الرسل إلّا الشياطين.

قال ابن كثير: فعلىٰ كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر: أنَّ للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيْء مَارِدُهُ، ولهذا جاء في «صحيح مسلم» (٥١٠) عن أبي ذر أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**الكلب الأسود شيطان**».

ومعناه -واللَّه أعلم-: شيطان في الكلاب.

وقال ابن جريج في تفسير هذه الآية: كفّار الجنّ شياطين، يوحون إلىٰ شياطين الإنس، كُفّار الإنس، زخرف القول غرورًا». اهـ.

قلت: فظهر من الآيات والأحاديث المعنىٰ المراد، وأنَّ الإبل خُلِقَتْ من الماء، وإنَّما تعتريها أعمال الشياطين فتتشيطن بشيطنتهم وأعمالهم، وليسوا بشياطين حقيقة.

قلت: ويؤكد معنىٰ ما مضىٰ من هذه المقالة، ما ذكره أهل اللغة في معنىٰ الشيطان قال ابن فارس في: «مقاييس اللغة» (٣/ ١٨٣- ١٨٤):

«شطن: الشين والطاء والنّون أصل واحد يدلُّ علىٰ البُعد، يُقال بئر شطون؛ أي: بعيدة القعر، وأمَّا الشيطان، فقال قوم: هو من هذا الباب، والنون فيه أصلية، فسُمِّي بذلك لبُعده عن الحقّ وتمرّده، وذلك أنَّ كلّ عاتٍ متمردٍ من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان، قال جرير:

أيامَ يدعُونَني الشيطان مِن غَزَلي   وهنَّ يَهْوَيْنَنَي إذْ كنت شيطانًا

وعلىٰ ذلك فُسّر قوله تعالىٰ: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

وقيل: إنه أراد الحيَّات، وذلك أنَّ الحيَّة شيطانًا قال:

تُلاعِبُ مَثْنَىٰ حضْرميٍّ كأنّه   تعَمَّجُ شيطانٍ بذي خِرْوعٍ فَقْرِ». اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في: «المفردات في غريب القرآن» (ص: ٢٦١):

«شَطِنَ: الشيطانُ، النون فيه أصلية، وهو من شَطَنَ أي تباعد، ومنه بئر شطون، وشطنَت الدَّار، وغُرْبَةُ شطون، وقيل: النون زائدة من شاط يشيطُ: احترق غضبًا، فالشيطانُ مخلوق من النَّار، كما دلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]؛ ولِكَوْنِه من ذلك اختصَّ بفرط القوة الغضبية والحميّة الذميمة، وامتنع من السجود لآدَمَ.

قال أبو عُبيدة: الشيطان اسم لكلّ عارم من الجنّ والإنس والحيوانات، قال تعالىٰ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أي: أصحابهم من الجنّ والإنس، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهم مردة الجنّ، ويصح أن يكونوا هُمْ مردة الإنس أيضًا، وقال الشاعر: «لو أنَّ شيطان الذئاب العُسَّلِ» جمع العاسل، وهو الذي يضطرب في عَدْوِهِ واختصّ به عَسَلانُ الذّئب.

وقال آخر: «ما ليلة الفقير إلَّا شيطان».

وسُمّي كل خُلُقٍ ذميم للإنسان شيطان، فقال ﷺ: «**الحسد شيطان والغضب شيطان**». اهـ.

قلت: فهذه جملة من الأدلة من الكتاب والسُّنَّة واللغة علىٰ صرف ظاهر حديث الباب عن ظاهره وأنه ليس علىٰ عمومه، فالقاعدة الكلية: «**العام علىٰ عمومه وظاهره حتىٰ يرد دليل يصرفه**»، وهذا آخر ما كان من هذا البحث ولا حول ولا قوّة إلَّا باللَّه، والحمد للَّه ربّ العالمين.

كتبه

الباحث الشرعيّ الدكتور عيد أبو السعود الكيَّال